الشيخ عبد الله بن سليمان العبدالله ذو المعالي

العقلُ الدعوي

عبد الله بن سليمان العبدالله (ذو المعالي)

<TD< tr/>

إن الناظرَ في أحوال الأمم و تجاربها يَلْحَظُ فيها أنها قد قامت على إحدى قاعدتين :

الأولى : الكيانُ الأممي .

الثاني : العقل الأممي .

و حين النظر ثانيةً إلى تلك نلْحَظُ تفاوتاً بيِّناً ين نتائج تينك القاعدتين .

إن الاعتماد في الإنتاج على الكيان أو الجسم لن يَعْدُوَ نتاجه ذلك الكيان ، بل ينتهي بنهايته ، و أما الاعتماد على العقول الفعَّالة ، و الابتكارات المُخْتَرِعة فإنه سَيُوَرِّثُ أكبرَ نتاجٍ تنتفع به الأمم ، و يدومُ معها في أحوال الزمان و تقلُّبَاته .

من ذلك يتضحُ أن نجاح أي أمرٍ إنما هو بتدعيمه بإدارة العقل ثم بالجسم المنفذ لما تُمْلِيْه تلك الإدارة .

و حتى يتحقق هذا لابد من تفعيل القُدُرات العقلية ، و حثِّها على الإنتاج الفكري إما بتحديث أو بتجديد .

تحديثٌ لمقومات تدفع بعجلة نجاح ما نريده ، و تجديد لكل قديم قد كرَّته الأيام .

و إن أحوجَ شيءٍ إلى تلك القُدُراتِ العقلية (الدعوةُ إلى الله) ، فهي من أعظم الوظائف الإسلامية ، و من هذه الحيثية كانت الحاجة إلى تفعيل العقول لخدمتها توسيعاً لها في نطاقٍ أكبر في الأرض .

و ليتبين لنا مدى الحاجة إلى هذه العقول و الإدارة العقلية الفعالة في (الدعوة إلى الله) ليس علينا إلا أن نقوم بالنظر في أدوات تبليغ الدعوة ، فإننا نرى فيها : قصوراً واضحاً ، و قِدَماً بيِّناً ، و معها لا نكاد نصل إلى ما نريده إطلاقاً إلا شيئاً يسيراً .

و نحنُ في العمل الدعوي نقومُ بأعمال البدن و الجوارح ، أما ما يتعلَّق بأمور التفعيل العقلي و التدبير الذهني للمجالات الدعوية فهذا مما نفتقده في حياتنا الدعوية .

و هل ننتظرُ حتى يخرجَ لنا من أهل الإسلام مَنْ يُتْقِنُ الإدارة العقلية ؟!

لا ، و إنما علينا الاستغلال للتقنيات الفنية الخادمة في المجال الدعوي ، فهي مرْتعٌ خَصْبٌ لتوسيع نطاق العمل الدعوي من خلالها ، و ذلك لما تميزت به من ميْزَات مهمة :

الأولى : الاتساع و البُعْد .

الثانية : السهولة و اليُسْرُ في التعامل معها .

الثالثة : الإقبال ليها مِنْ قِبَلِ العامة .

و فيها كفايةٌ للكشف عن أهميتها ، و تحريضٌ على استغلالها . و الأخذ بها طلبٌ مُلِحٌّ في الجانب الدعوي .

و ما أحسن أن يقوم فئات في مجتمعٍ مُسْلِمٍ بأعباء الدعوة إلى الله _ تعالى _ و يقوم آخرون بأمر التدبير الإداري العقلي للدعوة ، إذ أننا نرى إهمالاً في الإدارة الدعوية واضحاً لا يكادُ يُنكر ، و إليكَ جوانبُ من ذلك :

أولاً: الجانب الإداري ، فالإخلال في هذا الجانب كبير و بيِّنٌ و يفقد أموراً ثلاثة :

1- الإدارة .

2- التخطيط .

3- الأهداف .

فغالبُ الأعمال الدعوية سائرة بعمايةٍ و غَبَشٍ ، و موفقةٌ ببركة الله _ تعالى _ و حفظه لها ، و إلا فإن أمثالها لا يُحالفه التوفيق ، و لا أرمي بذلك أن الدعوة قيامها بهذه الأمور مُغْنٍ عن توفيق الله _ تعالى _ و لكن هي من الأسباب التي بها يكون تحقيق العمل و إيصاله .

و هذه الأمور لا يُوجد لها في العمل الإداري أيةُ أثرٍ ، و إن كان ففي نظريات بدائية عن تصورات شخصية ، فليست قواعد مُقَنَّنَةٌ عند الإداريين فيُعْتَمَدُ عليها ، و هل هذه ذاتُ جدوى في العمل ؟!

و تكمن أهميةُ هذه الأمور إذا أبصرنا نتائجَ العمل في خواتيمه ، و رأينا الفوضوية و الخلل في الثمار .

إن الأعمال التي يقوم بها المرءُ في حياته لابد لها من مقاصدَ و غاياتٍ و أهدافٍ يُسْعى إليها ، و الأهداف ضمانات للمسيرة العملية في أيةِ عمَلٍ يعمله المرء .

و الأهداف نوعان :

أولهما : أهدافٌ زمنية ، و هي الأعمالُ التي يتمُّ إنجازها في غضون زمان مُعيَّنٍ ، و الأهداف هذه قسمان :

الأول : أهداف بعيدة المدى .

الثاني : أهداف قصيرة المدى .

و الأول غالباً ما يكون للأعمال التي تتمتع بالشمولية و الكِبَر ، و الثاني دون ذلك .

ثانيهما : أهداف كيفية ، و يُرادُ منها الصفات و الكيفيات التي تكون عليها الأهداف و الأعمال الدعوية و هي قسمان :

أولهما : ما يتعلَّق بذات العمل الدعوي كـ :الوسائل و الغايات .

ثانيهما : ما يتعلَّق بالذوات المتعلقة بالعمل الدعوي ، و هذا شيئان :

أ- القائمين بالعمل ، وصفهم ، قُدُراتهم ، أعمالهم .

ب- المُوَجَّه إليهم العمل الدعوي .

فالعنايةُ بهذه الأهداف يضمن لنا إحكام العمل الدعوي ، و من ثَمَّ يَطيبُ النتاج و يُزهرُ الجنى .

و لِتمامِ المقصود على أحسن أوجهه لابد من رعايةِ أمرين :

الأول : الواقعيةُ ، فلا يكون : التخطيط و الإدارة و الأهداف من باب الخيال ، و إنما إظهاره في أرضِ الواقع مهم للغاية ، و _ أيضاً _ مراعاة أحوال الواقع المُعاش .

الثاني : المرونة ، و تعني :يُسْرُ التعامل معَ الطوارئ و العوارض في مجال تنفيذ الأهداف ، فإن الدقة في التخطيط الداعية إلى التخبط ليست من حُسْنِ الإدارة في شيء .

فالمرونة تجعلُ العمل يسير سيراً مضبوطاً و لا يكون في مسيره غضاضةٌ و لا إشكاليةٌ ، و أما حَصْرُ الأهداف في زمنٍ و مكانٍ و طريقة بالتحديد الدقيق ففيه مَضَرَةٌ و مَشَقَةٌ .

فالمشقةُ بعدم الإتيان بالهدف فيما حُدِّدَ له حيث العوارض التي تعترضُ

الأهداف .

و أما المضرة فبالسابق : المشقة ، و بتخلف تنفيذ العمل .

و حاصل المرونة أن يكون ذلك الثلاثي (الإدارة ، التخطيط ، الأهداف) مطاطيةً فكيفما كانت الأمور جاء العمل و تحقيق الهدف معها .

و قَيْدُ المرونة : أن يكون بقدر معقولٍ متناسبٌ مع أحوال الزمان .

و الجانبُ الثاني : العمل الواقعي ، إن أعمالنا الدعوية في الميادين الواقعية تعيشُ نوبَةً من الخلل المستطير المُنْبيء عن خطورة كامنة ، جرَّ تلك الخطورة عدمُ حُسْنِ تصرُّفٍ في أداء العمل الدعوي في ميادينه .

فكثيراً ما نأخذُ قواعدَ و أصولاًدعويةً و نقتنع بها ، و نتعرَّفُ على أساليب كثيرةً في الدعوة لكن الخلل في تطبيق هذه الأمور .

بل الأدهى من ذلك كله أننا نَرْكُدُ على حالٍ واحدة و ندوم عليها ، فلا نفكر بتقديم أساليب حديثة منها يكون اتساع نطاق الدعوة ، و بها يكون التأثير البليغ في المجال الدعوي .

إننا نحرصُ على أمورٍ و أساليب دعوية كثيرةٍ بِدائية لها أثرٌ بالغ _ بتوفيق الله _ ، و لكننا في الوقت ذاته نريد الانتقال من هذه الدائرة الضيقة إلى دائرةٍ أوسع و أشمل .

نتحسَّرُ حين نرى أهل الكفر و دعاة الباطل قد سبقونا بمفاوز في أساليب نشر دعواتهم ، و اتسعت رقعُ دعواتهم و أفكارهم في الأرض ، بل من بني الجِلْدَةِ مَنْ سبقَ إلى أفكارٍ متعددة النطاق ، متسعة الساحة.

لستُ داعياً إلى سلوك ما تقرر في دين الله تحريمه ، و إنما أطالبُ بأن نسلك أموراً مباحةً و جائزٌ الأخذ بها ، و هي كثيرة _ و لله الحمد _ و لن يَتَبَصَّرْها إلا

مَنْ فتحَ الله على قلبهِ فأبصرَ حقائق الدعوة إلى الله .

إن أسلوب : الشريط المسموع ، و المطوية ، و الكُتَيِّب و غيرها قد شرب منها الزمن حتى رَوِيَ ، و ملَّت الناس رؤيتها ، و التنويع بينها و أخواتها من أساليب التبليغ و الدعوة مطلوب .

و مثلها أسلوب الإلقاء للحديث فالعادة القديمة في الحديث و الكلام لابد من تجديدها و تطويرها إلى أساليب أُخَرَ توحي بانبعاث النفس نحو الكلام المُلْقَى ، و تسلبُ الفؤاد ، و تسحر القلب .

و يأخذُ المجرى ذاته المجلات و الصحافة الإسلامية فليس من المعقول أن تكون في الذنب و الباطل في الرأس ، و ليس منه كذلك أن تطرحَ طروحاتٍ مجتها الأنفس ، و سئمتها الأعين ، و الذي عليها للأمة الإسلامية أن تنتقل من الطور و الطراز القديم إلى التجديد الدائم المستمر .

و مثلَ هذا يكون الحديث عن الإعلام الإسلامي ، فأينه و التطور ؟ و أينه و التقنيات الإعلامية التي أصابت العالم بتخمة منها ؟

لا شيء ، و أستغفر الله ، هذه هي الإجابةُ المحزنة .

إننا لسنا بأقلَّ من أهل الغواية و الردى : عقلاً، و ذكاءً ، و قُدْرَةً ، و نستطيع أن نأتي بمثل ما أتوا به بل بأكثر و الله يقول : { و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا و إن الله لمع المحسنين } .

فهما قيدان للهداية بهما يكون التوفيق نحو السداد ، و بدونهما لا يكون شيئٌ :

الأول : بذلُ الجهد .

الثاني : الإحسان في العمل .

فلم يبقَ عُذْرٌ لنا في التخلف عن ركب التقنية المتطور ، و ليس لنا أيةَ حجةٍ

إذا أشبعنا أمتنا بما لا ينشر أصولها في أرجاء الأرض .

نؤمنُ بأن دين الله _ تعالى _ سيعمُّ أرجاءً كبيرة ، و أن المستقبل لهذا الدين ، و لكن نؤمنُ أيضاً أنه لا يكون ذلك إلا بأسباب تتفاقم مع حجم الزمن الذي تعيشه الأمم ، و الأساليب التقليدية لا يُؤْبَه بها .

من هنا تكون البدايةُ في السعاية بالدعوة نحو الأمام ، و تطوير تقنياتها ، و إيجادُ عقولٍ مُدَبِّرَةٍ مُفَكِّرَةٍ تضيء للدعوة طُرُقاً و دروباً ، و نُحْدِثُ من السالكين سبيل الدعوة أقواماً تنفيذيين لأفكار تلك العقول .

و غضُ الطَرْفِ عن الخلافيات التافهة مهم جداً في مسيرة العمل الدعوي .

أرجو أن أكون وضعتُ نقاطاً على أحرفٍ ، و رمقتُ بعين النصح مواضع الداء ، و أفلحتُ في وصف الداء .

12/11/1423هـ

الأربعاء - الرياض